

## قضايا و آراء

2 من ربيع الثاني 1424 هـ 2 الأثنين يونيو 2003 السنة 127-العدد 42546

**من أسرار القرآن**  
إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى  
الألب 190

آل عمران

الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزي دلالتها العلمية  
(88) وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين\*

\* المؤمنون:20\*

### بقلم الدكتور: زغلول النجار

هذه الآية الكريمة جاءت في نهاية الخمس الأول من سورة المؤمنون وهي سورة مكية، وآياتها (118) بعد البسملة، ويدور محورها الرئيسي حول قضية الإيمان بالله، وصفات المؤمنين بألوهيته، وربوبيته، ووحدانيته، ودلالات ومؤشرات التوحيد الخالص لله، وتنزيهه (سبحانه وتعالى) عن كل وصف لا يليق بجلاله، ومقارنة هذا الإيمان الصادق بأصداده من الشرك بالله أو الكفر به (تعالى الله عن ذلك الضلال علوا كبيرا). وقد سميت السورة باسم (المؤمنون) إشادة بهم، وتأكيدا على فضائلهم، وتمييزا لهم عن غيرهم ممن استزلهم الشيطان فأغرقهم في أحوال الشرك أو الشك أو الكفر بالله.

وهذه السورة الكريمة بشارة للمؤمنين برضاء الله عنهم، لذلك استهلته بقول الحق (تبارك وتعالى):

قد أفلح المؤمنون\* الذين هم في صلاتهم خاشعون\* والذين هم عن اللغو معرضون\* والذين هم للزكاة فاعلون\* والذين هم لفروجهم حافظون\* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين\* فمن ابتغي وراء ذلك فأولئك هم العادون\* والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون\* والذين هم على صلواتهم يحافظون\* أولئك هم الوارثون\* الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون\*  
(المؤمنون: 1-11)

ثم انتقلت السورة الكريمة الي استعراض عدد من آيات الله في الخلق للدلالة علي طلاقة قدرة الخالق (سبحانه وتعالى) وفي مقدمة تلك الآيات خلق الإنسان من طين، ومروره بمراحل الجنين المتتالية في تتابع خلقه حتي أنشأه الله (تعالى) خلقا آخر، وحتمية موته ثم بعثه في يوم القيامة، ومن تلك الآيات خلق سبع سموات متميزة، وإنزال الماء من السماء بقدر، وإسكانه في الأرض، علما بأن الله (تعالى) قادر علي الذهاب به، وتوضيح القدرة الإلهية المبهرة في إنبات الأرض بمجرد إنزال الماء عليها، وإنشاء جنات من نخيل وأعناب وغيرها من أشجار، ونباتات الحبوب والثمار،

والفواكه والخضروات الكثيرة ليأكل منها الإنسان وأنعامه، وغير ذلك من الحيوانات آكلة الأعشاب، وخصت هذه السورة المباركة من بين ذلك كله شجرة الزيتون التي وصفتها بقول الحق (تبارك وتعالى):  
وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين\*  
(المؤمنون:20)

وتحدثت الآيات عن معجزة خلق الأنعام، وتكوين اللبن في أضراسها من بين دمها والفرت في أحشائها، وما في تلك الأنعام من منافع عديدة للإنسان، وأشارت إليها وإلى الفلك كوسيلة من وسائل النقل لهذا المخلوق المكرم من الله.

وبعد ذلك انتقلت السورة الكريمة الي سرد قصص عدد من أنبياء الله ورسله الذين اصطفاهم الله (تعالى) لهداية أممهم، وأكدت أن رسالتهم جميعا كانت رسالة واحدة ألا وهي التوحيد الخالص لله (تعالى) بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة ولا ولد، وكانت دعوة كل واحد منهم الي أمته دعوة واحدة تعبر عنها السورة الكريمة بقول الحق (تبارك وتعالى):  
أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

وسجلت سورة (المؤمنون) تفاعل تلك الأمم مع رسالات ربهم، ومن هذه الأمم أمة كل من أنبياء الله نوح، وهود، وصالح، وأعداد أخرى أرسلهم الله نبيا إثر نبي، ورسولا إثر رسول، حتي جاء زمان موسي وهارون، ثم زمان عيسي ابن مريم (علي رسولنا وعليهم جميعا من الله السلام)، وكان أمر الله (تعالى) إليهم واحدا مؤكدا علي وحدة رسالة السماء، وعلي الأخوة بين الأنبياء، وعلي وحدة الجنس البشري كله، وإن كان أتباع تلك الرسالات قد تفرقوا، واختلفوا، وابتدعوا، فيما أرسل إليهم فأفسدوه إفسادا كبيرا ووطنوا أن ما يمدهم به الله من مال وبنين هو خير لهم. وفي ذلك يقول الحق (تبارك وتعالى):

ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم\* وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون\* فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون\* فذرهم في عمرتهم حتي حين\* أحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين\* نसारح لهم في الخيرات بل لا يشعرون\*  
(المؤمنون:51-56).

وتعاود السورة الكريمة سرد المزيد من صفات المؤمنين فتنتعهم بقول ربنا (تبارك وتعالى):

إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون\* والذين هم بآيات ربهم يؤمنون\* والذين هم بربهم لا يشركون\* والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجة أنهم الي ربهم راجعون\* أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون\* ولا تكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون\*  
(المؤمنون:57-62).

وفي مقابلة واضحة لصفات المؤمنين ذكرت السورة بعض صفات الكفار والمشركين ممثلين في كفار قريش ومشركيهم ومن يسير علي خطاهم الي يوم الدين، عارضة لشيء من حسرتهم يوم القيامة وفي ذلك تقول الآيات:

بل قلوبهم في عمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون\* حتي إذا اخدنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجارون\* لاتجاروا اليوم إنكم منا لاتنصرون\* قد كانت آياتي تتلي عليكم فكنتم علي أعقابكم تنكصون\* مستكبرين به سامرا تهجرون\* أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يات آباءهم الأولين\* أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون\*  
(المؤمنون:63-69)

ثم عاودت السورة الكريمة الاستشهاد بعدد من آيات الله الدالة على طلاقة قدرته ومنها خلق السمع والأبصار والأفئدة، ونشر الجنس البشري في الأرض، وحتمية حشر جميع الخلائق إلى الله، الذي هو يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار.

وردت السورة الكريمة على الذين ينكرون البعث، والذين يتهمون وحي السماء زورا بأنه من أساطير الأولين، واستعرضت حوارا بين خاتم الانبياء والمرسلين (صلي الله عليه وسلم) وبين الكفار والمشركين.

ونزهت الذات الالهية عن كل من الولد والشريك لانهما من صفات المخلوقين التي لا تليق بجلال الله، وفي ذلك تقول:  
ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون\* عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون\*.  
(المؤمنون: 91,92)

وتنتقل الآيات إلى وصف ذل كل من الكفار والمشركين في ساعات احتضارهم، وبعد بعثهم، وفي ذلك يقول الحق (تبارك وتعالى):  
حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون\* لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون\* فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون\* فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون\* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون\* تفلح وجوههم النار وهم فيها كالحون\* ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون\* قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين\* ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون\* قال احسأوا فيها ولا تكلمون\*.  
(المؤمنون: 99-108)

وتقارن الآيات بعد ذلك بين موقف المؤمنين الذين يطلبون المغفرة والرحمة من الله (تعالى)، وموقف الكفار والمشركين الذين كانوا يقفون من المؤمنين موقف الاستهزاء والسخرية والضحك منهم فجزى الله المؤمنين بان جعلهم الاعلون في الدنيا والفائزين في الآخرة.  
وتختتم السورة الكريمة بالتأكيد على أن البشر لم يخلقوا عبثا، وانهم حتما راجعون إلى الله، وعظمت الله الملك الحق الذي لا إله الا هو رب العرش الكريم، واستنكرت شرك المشركين الذين هددتهم بعقاب شديد من الله، ونعتتهم بالكافرين، وقررت انهم لا يفلحون ابدا، وفي المقابل وجهت رسول الله صلي الله عليه وسلم - ومن ورائه كل المؤمنين ببعثته الشريفة - ان يطلبوا المغفرة والرحمة من الله خير الراحمين، وفي ذلك تقول الايات:

أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون\* فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم\* ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون\* وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين.  
(المؤمنون: 115-118)

### من ركائز العقيدة في سورة (المؤمنون):

من ركائز العقيدة الاسلامية التي جاءت بها سورة (المؤمنون) الايمان بما يلي:

(1) أن الجنة حق، وأنه لا يرث الفردوس خلودا فيها إلا المؤمنون الذين عدت السورة الكريمة جانبا من صفاتهم ولذلك سميت باسمهم.

(2) أن الله (تعالى) هو خالق الانسان, ومقدر مراحل الجنينية مرحلة بعد أخرى حتى تتم تسويته, وأن الله (تعالى) هو رب كل شئ ومليكه, وأن الانسان لم يخلق عبثا, وأنه حتما عائد إلي ربه.

(3) أن الموت حق علي جميع المخلوقين.

(4) أن الآخرة حق, وأن البعث والحشر والحساب حق.

(5) أن أنبياء الله ورسله ورسالاته حق.

(6) أنه لا اله الا الله, وأن آيات الله حق, وأنه (تعالى) هو عالم الغيب والشهادة, وأنه (سبحانه وتعالى) هو رب العرش الكريم وأن الشرك بالله كفر, وأنه لايفلح الكافرون.

(7) وأن الله (تعالى) هو خير الرازقين, وأنه هو الذي يحيي ويميت, وأن له اختلاف الليل والنهار, وأنه (سبحانه وتعالى) منزه عن الصاحبة والولد, وعن الشريك والشبيه, وعن كل وصف لايليق بجلاله.

(8) وبضرورة الاستعاذة بالله من همزات الشياطين ومن ان يحضرون.

(9) وبأنه لاعودة بعد الموت إلا في يوم البعث, وذلك لان الأموات وراءهم برزخ الي يوم يبعثون, وبأنه عند نفخة الصور الأولي يصعق كل حي وعند النفخة الثانية يبعث كل ميت.

(10) وأن من ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون, وأن من خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون.

(11) وأن طلب المغفرة والرحمة هو من الله خير الراحمين.

### من الآيات الكونية في سورة (المؤمنون)

(1) خلق الإنسان من سلاله من طين.

(2) وصف المراحل المتتالية في تكوين الجنين البشري بدقة بالغة.

(3) وصف كل من الغدد التناسلية والرحم بأنه قرار مكين.

(4) خلق السماوات السبع ومابينها من فواصل.

(5) إنزال الماء من السماء بقدر وإسكانه في الأرض.

(6) إخراج النبات من الأرض بعد إنزال الماء من السماء, وإنشاء جنات من نخيل وأعناب وغير ذلك من النباتات ومالها من الثمار والفواكه الكثيرة.

(7) وصف شجرة الزيتون بأنها تنبت بالدهن وصيغ للأكلين, والإشارة إلي شجر الزيتون الذي ينبت في طور سيناء بصفة خاصة.

(8) وصف الأنعام بأن فيها عبرة للمعتبرين خاصة ما يخرج من بطونها من اللبن, وما يؤكل منها من لحم, وغير ذلك من المنافع الكثيرة.

(9) الإشارة إلى إمكانية استخدام كل من الأنعام والفلك كوسائل للتنقل.

(10) الإشارة إلى سبق خلق السمع لخلق كل من الأبصار والأفئدة.

(11) الإشارة إلى دوران الأرض حول محورها أمام الشمس بتعبير اختلاف الليل والنهار.

### ذكر الزيتون وزيته في القرآن الكريم:

جاء ذكر الزيتون وزيته في سبعة مواضع من القرآن الكريم علي النحو التالي:

(1).. وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون. (الأنعام:99).

(2) وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وأنوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين\* (الأنعام:141).

(3) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (النحل:11)

(4) وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للآكلين\* (المؤمنون:20).

(5) الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور علي نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم (النور:35)

(6) فلينظر الإنسان إلى طعامه\* أنا صببنا الماء صبا\* ثم شققنا الأرض شقا\* فأنبتنا فيها حبا\* وعنبا وقصبا\* وزيتونا ونخلا\*.. (عبس:24-32).

(7) والتين والزيتون\* وطور سينين\* وهذا البلد الأمين\*..(التين:1-3) وفي هذه الآيات الكريمة من سورة التين يقسم ربنا تبارك وتعالى - وهو الغني عن القسم - بكل من التين والزيتون وطور سينين. أي الجبل الذي نودي موسى (عليه السلام) من جانبه في شبه جزيرة سيناء( أي طور سيناء) والبلد الأمين( أي مكة المكرمة أشرف بقاع الأرض علي الإطلاق) علي أن الله تعالى قد فطر الإنسان علي حب الإيمان وكرهية الكفر، وعلي حب الخير والنفور من الشر، وحب مكارم الأخلاق وكرهية الإسفاف في الحديث أو السلوك، وحبه في الالتزام بذلك كله حتي يصل إلي درجات من الكمال ترفعه إلي مافوق منازل الملائكة إذا التزم بذلك، ولكن إذا انحرف الإنسان عن الفطرة التي فطره خالقه عليها، وانغمس في وحل الشرك أو الكفر أو الضلال والانحلال الأخلاقي فإنه ينتكس انتكاسة تهوي به إلي أسفل السافلين.

والتين قد أشير إليه في القرآن الكريم كله مرة واحدة فقط في هذه السورة المباركة وحدها.

وكل آية من هذه الآيات السبع تحتاج في شرح دلالتها العلمية إلي معالجة خاصة، ولكنني سوف أقصر الحديث هنا علي الآية العشرين من سورة (المؤمنون)، وقبل البدء في ذلك لابد من استعراض سريع لأقوال عدد من المفسرين القدامي والمعاصرين في شرح هذه الآية الكريمة.



وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للأكلين

### من أقوال المفسرين

في تفسير قوله (تعالى):

وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للأكلين\*  
(المؤمنون:20)

\* ذكر الطبري (رحمه الله) ما مختصره: (وشجرة تخرج من طور سيناء) وشجرة منصوبة عطفا علي (جنان) يعني بها شجرة الزيتون (من طور سيناء) جبل... مبارك نودي منه موسى - عليه السلام - واختلف فيه (تنبت) تثمر (بالدهن) و(صيغ للأكلين) ما يندمون به.

\* وذكر ابن كثير (رحمه الله) ما مختصره: (وشجرة تخرج من طور سيناء) يعني الزيتون، والطور هو الجبل، وقال بعضهم إنما يسمى طورا إذا كان فيه شجر، فإن عري عنها سمي جبلا لا طورا والله أعلم

\* (وطور سيناء) هو طور سينين، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون، وقوله (تنبت بالدهن) أي تنبت الدهن...، ولهذا قال: (وصيغ) أي آدم - قاله قتادة - (لأكلين) أي فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة) وروي عبد بن حميد في مسنده عن عمر أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: (اتدموا بالزيت وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة).

### \* وجاء في تفسير الجلالين (رحم الله كاتبه) ما مختصره:

(و) أنشأنا (شجرة تخرج من طور سيناء) جبل، بكسر السين وفتحها، ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة أي: لأنه اسم علم علي البقعة التي فيها جبل الطور (تنبت) بضم التاء وكسر الباء من الرباعي أنبت، وفي قراءة بفتح التاء وضم الباء من الثلاثي نبت (بالدهن) الباء زائدة علي الأول، ومعدية علي الثاني، وهي شجرة الزيتون، (وصيغ للأكلين) عطف علي الدهن أي: إدام يصيغ اللقمة بغمسها فيه وهو: الزيت.

\* وجاء في الظلال (رحم الله كاتبها برحمته الواسعة) ما نصه: (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للأكلين).. وهي من أكثر الشجر فائدة بزيتها وطعامها وخشبها. وأقرب منابتها من بلاد العرب طور سيناء، عند الوادي المقدس المذكور في القرآن. لهذا ذكر هذا المنبت علي وجه

خاص، وهي تنبت هناك من الماء الذي أسكن في الأرض وعليه تعيش.

\* وجاء في صفوة البيان لمعاني القرآن (رحم الله صاحبها) ما نصه:  
( وشجرة تخرج من طور سيناء) أي وأنشأنا لكم شجرة تخرج من الجبل المعروف بهذا الاسم وهو جبل المناجاة (تنبت بالدهن) تنبت ملتبسة بالدهن ومصحوبة به... والدهن عصارة كل شيء ذي دسم، والمراد به هنا: زيت الزيتون، وقريء تنبت بضم التاء، من أنبت بمعنى نبت، أو من أنبت المتعدي بالهمزة، كأنبت الله الزرع، والتقدير: نبت جناها مصحوبا بالدهن (وصيغ للأكلين) أي وبإدام للأكلين، والصيغ والصباغ - بالكسر فيهما -: الإدام لأنه يصبغ الخبز، وأصل الصبغ ما يلون به الثوب، فكان الزيت إداما يؤتمد به كما كان دهنا يدهن به ويسرج منه. والتغاير بين المعطوف والمعطوف عليه باعتبار الصفات لا باعتبار الذات.

\* وذكر أصحاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم (جزاهم الله خيرا) ما نصه: وخلقنا لكم شجرة الزيتون التي تنبت في منطقة طور سيناء، وفي ثمارها زيت تنتفعون به، وهو إدام للأكلين.  
وجاء في تعليق الخبراء بالهامش ما يلي:... تقرر هذه الآية الكريمة أن شجرة الزيتون من ضمن النعم التي أنعم الله بها علي الانسان وعدد بعضها في الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية إذ أنها من الأشجار الخشبية التي تعمر طويلا لمدد تزيد علي مئات السنين، فلا يأخذ أمرها جهدا من الانسان إنما تثمر ثمارا مستمرة طبيعيا.. كما تتميز بأنها دائمة الخضرة جميلة المنظر. وتفيد الأبحاث العلمية أن الزيتون يعتبر مادة غذائية جيدة، فيه نسبة كبيرة من البروتين.

كما يتميز بوجود الأملاح الكلسية، والحديدية، والفسفورية، وهي مواد مهمة وأساسية في غذاء الانسان، وعلاوة علي ذلك فإن الزيتون يحتوي علي فيتامين (ا) وفيتامين (ب). ويستخرج من الثمار زيت الزيتون الذي يحتوي علي نسبة عالية من الدهون السائلة، وهذا الزيت يستعمل بكثرة في التغذية.

وتضيف الأبحاث الطبية إلي زيت الزيوت فوائد عديدة، فهو يقيد الجهاز الهضمي عامة.. والكبد خاصة، وهو يفضل جميع أنواع الدهون الأخرى نباتية أو حيوانية، إذ لا يسبب أمراضا للدورة الدموية أو الشرايين كغيره من الدهن، كما أنه ملطف للجلد، إذ يجعله ناعما ومرنا، ولزيت الزيتون استعمالات أخرى كثيرة صناعية، إذ تحضر منه بعض المركبات، ويدخل في إنتاج أفضل وأحسن أنواع الصابون، وغير ذلك من مختلف الصناعات الغذائية والطبية.

\* وذكر صاحب صفوة التفاسير (جزاه الله خيرا) ما نصه: ( وشجرة تخرج من طور سيناء) أي ومما أنشأنا لكم بالماء أيضا شجرة الزيتون التي تخرج حول جبل الطور وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى (تنبت بالدهن) أي تنبت الدهن أي الزيت الذي فيه منافع عظيمة (وصيغ للأكلين) أي وإدام للأكلين، وسمي صبغا لأنه يلون الخبز إذا غمس فيه، فقد جمع الله في هذه الشجرة بين الأدم والدهن....

### من الدلالات العلمية للآية المباركة

نظرا لتمييزها الواضح فإن شجرة الزيتون أصبحت تصنف اليوم ضمن رتبة خاصة بها من رتب النباتات المزهرة تعرف باسم رتبة الزيتونيات (ORDEROLEALES)  
, بعد أن كانت تجمع من قبل في رتبة أخرى تعرف باسم رتبة الملتفات (OrderContortae)

وتضم هذه الرتبة عائلة واحدة هي العائلة الزيتونية

FamilyOleaceae

التي تقسم الي اثنتين مما هو تحت هذه العائلة هما: تحت العائلة الزيتونية

(SubfamilyOleoideae

وتحت العائلة الياسمينية

.Subfamilyjasminoideae

\* وتضم أشجار العائلة الزيتونية 28 جنسا, وما بين 500 الي 600 نوع من أنواع النباتات المزهرة التي تنتشر انتشارا واسعا في كل أنحاء الأرض ما عدا المناطق المتجمدة والباردة, إذ تنتشر في كل من المناطق المعتدلة والمدارية بصفة خاصة, وتكثر - بالذات - في حوض البحر الأبيض المتوسط, وفي جنوب غربي آسيا, وعلي الرغم من هذا الانتشار الواسع إلا أن أشجار هذه العائلة نادرا ما تكون هي الأشجار السائدة في المنطقة الواحدة, ومن هذه الأشجار ما هو دائم الخضرة كشجرة الزيتون, ومنها ما هو متساقط الأوراق.

وتضم العائلة الزيتونية أشجارا خشبية, كما تضم عددا من الشجيرات, وبعض المتسلقات, ولكن تتميز كلها بأوراقها الريشية المتقابلة أو المتبادلة, البسيطة أو المركبة, والتي يمكن أن تكون لها أذينات صغيرة عند قاعدة الورقة, والثمرة في أفراد العائلة الزيتونية إما أن تكون حسلية كما هو الحال في ثمرة الزيتون (وهي ثمرة عصارية, حقيقية, تكونت من نمو مبيض الزهرة فقط, ولها بذرة صلبة في قلبها), وقد تكون الثمرة لبية أو علبية كما هو الحال في بعض شجيرات الزينة والأسوار التابعة لهذه العائلة, والبذور فيها إندوسبيرمية أي مغطاة بطبقة من الأنسجة التي تمثل غذاء للجنين الذي يأخذ شكلا مستقيما في العادة.

والنباتات المنطوية في الرتبة الزيتونية لها من الأهمية الاقتصادية والجمالية ما يمتثل في شجر الزيتون بأنواعه وأصنافه المختلفة, وثمره وزبته وخشبه, كما يتمثل في شجر الدردار (Ashes)

المشهور بأخشابه الصلبة والشديدة التماسك, وفي عدد من الشجيرات والمتسلقات ذات العطور العبقية من مثل البنفسج (lilacs) والياسمين بأنواعه المختلفة (Jasminum=Jasmines).

وأشجار الزيتون تتميز بأنها أشجار معمرة حيث يمكن للشجرة الواحدة أن تعيش لأكثر من ألفي سنة, وينبت في مصر صنفان من نوع الزيتون المعروف خطأ باسم الزيتون الأوروبي (Oleaeuropaea)

والذي كان من الأصح تسميته باسم الزيتون السينائي (Oleasinaensis)

لأن زراعته انتقلت أصلا من شبه جزيرة سيناء إلي باقي أجزاء حوض البحر الأبيض المتوسط.

وأحد هذين الصنفين يعرف باسم الزيتون التفاحي, ويتميز بثمرته الكبيرة الحجم نسبيا, والقليلة الزيت نسبيا, ولذلك يصلح أكثر للتخليل, وتكثر زراعة هذا الصنف في واحات صحراء مصر الغربية وفي منطقة الفيوم.

أما الصنف الآخر فيعرف باسم الزيتون الشمالي ويمتاز بثماره الصغيرة الحجم نسبيا والغنية بالزيت ولذلك يصلح للعصر واستخراج ما به من زيت, وتكثر زراعته في شبه جزيرة سيناء وعلي طول سواحل البحر الأبيض المتوسط.

والآية القرآنية الكريمة التي اتخذناها عنوانا لهذا المقال تشير بوضوح إلي شجرة الزيتون التي تؤكل ثمارها, ويؤتد بزيته وبما فيه من منافع, وقد



جاءت الاشارة إليها منسوبة إلى طور سيناء مما يرجح أن هذه المنطقة هي أصل منبت شجرة الزيتون, كما ترجح وجود ميزات للصف من الزيتون الذي ينبت في تلك المنطقة تميزه عن غيره, وفي ذلك يقول ربنا( تبارك وتعالى):

وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين  
(المؤمنون:20)

و(تنبت بالدهن) أي تنبت ثمارها متلبسة بالدهن وهو زيت الزيتون, (وصبغ للأكلين) أي: إدام وطعام لهم, سمي صبغا لكونه إداما, ولأنه يصبغ الخبز إذا لامسه, ولعل في ذلك إشارة إلى ما هو غير الدهن من مئات المركبات الكيميائية المهمة التي مكن الله (تعالى) شجرة الزيتون من استخلاصها من ماء وتربة الأرض, ونقلها في العصارة الغدائية, وتخليقها في أوراقها وثمارها, مما تعجز أكبر المصانع التي بناها الإنسان عن تحقيقه. لذلك أمتدح ربنا( تبارك وتعالى) كلا من شجر الزيتون وزيته في ستة مواضع أخرى من القرآن الكريم, وأقسم بالتين والزيتون في موضع منها.

وشجرة الزيتون هي شجرة صغيرة, ولكنها شجرة معمرة, دائمة الخضرة, تتحمل الجفاف بشكل كبير, وثمرتها من أهم ثمار الزيوت النباتية, إذ يشكل زيتها ما بين 60%,70% من وزن الثمرة في المتوسط, ويتكون زيت الزيتون من عدد من المركبات الكيميائية المهمة, والتي منها مركبات الجليسرين والأحماض الدهنية المعروفة باسم الجليسيريدات (Glycerides). ويكون الحمض الدهني نسبة كبيرة من وزن الزيت, ولذلك فإن صفات كل زيت تتوقف إلى حد كبير على نوع الحمض الدهني المكون لمركب الجليسيريدات فيه. ومن أشهر الأحماض الدهنية في الزيتون والدهون بصفة عامة ما يلي:

(1) حمض زيت الزيتون (OleicAcid).

(2) حمض زيت النخيل (PalmiticAcid)

(3) حمض زيت الكتان (LinoleicAcid)

(4) حمض الشمع (StearicAcid).

(5) الحمض الغامض ( حمض المستريك) (MystricAcid).  
هذا ومن المعروف أن مركبات الجليسيريدات (Glycerides)

قد تكون مفردة الحامض أو مكونة من أخلاط من تلك الأحماض الدهنية, فإذا كانت ناتجة عن اتحاد الجليسرين مع حمض دهني واحد فقط سميت اسم الجليسيريدات البسيطة SimpleGlycerides

ولكن إذا نتجت عن اتحاد الجليسرين مع أكثر من حمض دهني - وهو الأمر الغالب - سميت باسم الجليسيريدات المختلطة (ComplexorMixedGlycerides)

وعادة ما تكون الزيوت والدهون مركبة من جليسيريدات مختلطة إلا أن بعضها قد يحتوي على نسبة عالية من نوع معين من الجليسيريدات البسيطة وذلك مثل زيت الزيتون الذي يحتوي على نسبة عالية من جليسيريدات حمض زيت الزيتون (OLEAICACID)

تتراوح بين 67%، 84% مما يميزه عن غيره من الزيوت النباتية والدهون الحيوانية.

وبالإضافة الي ذلك يحتوي زيت الزيتون علي البروتينات وعلي نسب متفاوتة من عناصر البوتاسيوم، الكالسيوم، المغنسيوم، والفسفور والحديد، النحاس، الكبريت وغيرها بالإضافة إلي نسبة من الألياف، وتدخل هذه المكونات في بناء حوالي الألف مركب كيميائي حيوي في زيت الزيتون، كلها نافعة لجسم الانسان وبعضها ضروري لسلامته، ومن هنا كان فضل هذا الزيت علي غيره من الدهون والزيوت التي تمثل مركبات عضوية لها تركيب كيميائي متشابه فإذا بقيت سائلة عند درجة حرارة (20) درجة مئوية سميت زيتا، وإذا بقيت جامدة عند نفس الدرجة سميت دهنا، ومنها الدهون المتعادلة، والشموع، والدهون المعقدة (الليبيدات المختلطة).

وأهم مصادر الزيوت النباتية هي بعض البذور الزيتية مثل بذور كل من القطن، والكتان، والسلمسم، ودوار الشمس، والخروع، والفول السوداني، وفول الصويا.

لذلك يمكن الحصول علي الزيوت النباتية من بعض الثمار الزيتية من مثل ثمار الزيتون، وجوز الهند، والتخيل الزيتي، أو من بعض أجنة الحبوب من مثل القمح، والذرة، والارز.

وتستخلص الزيوت النباتية بطريقة الهرس ثم الكبس أو العصر في مكابس خاصة، وتعرف المادة الصلبة المتبقية من هذه العملية باسم الكسب الذي يستخدم علفا للحيوان لغنائه بالبروتين، وقد يستخدم ما يتخلف عن عصر بذور السلمسم غذاء للانسان.

وأفضل الزيوت النباتية علي الاطلاق هو زيت الزيتون، وذلك لما أعطاه الله (تعالى) من خاصية خفض ضغط الدم، وتقليل امتصاص الجسم للكوليسترول بصفة عامة وإنقاص المعدل الكلي للكوليسترول في الدم بحوالي 13%، وإنقاص معدل الكوليسترول الضار في الدم والمعروف باسم الكوليسترول الخفيف.

[LOWDENSITYLEPIDOPROTEIN(L.D.L)]

بنسبة 21% فيرفع بذلك نسبة الكوليسترول المفيد نسبيا في الدم،

والمعروف باسم الكوليسترول الثقيل

[HighDenitylepidoprotein(H.D.L)]

ومن الثابت طبيا أنه كلما انخفضت نسبة الكوليسترول الضار وزادت نسبة المفيد منه في الدم كلما قلت نسبة الاصابة بالجلطات القلبية خاصة الاصابة المعروفة باسم احتشاء العضلة القلبية، وعلي ذلك فإن تناول زيت الزيتون بكميات منتظمة يحمي القلب من أمراض انسداد الشرايين وهي من أكثر الامراض إنتشارا في الزمن الحاضر، خاصة في الدول الغنية التي يبالغ أفرادها في تناول الطعام إلي حد التخممة. وعلي الرغم من ذلك فقد لوحظ أن أقل نسبة إصابة بمرض الشرايين التاجية (الإكليلية) القلبية يوجد في حوض البحر الابيض المتوسط خاصة في بلدانه التي يتناول أفرادها الزيتون وزيته بكميات ثابتة ومنتظمة، ويعتبرون كلا من هذه الثمرة المباركة وزيتها مصدرا أساسيا للدسم في طعامهم مما يشير الي الدور الفاعل لهما في الوقاية من أمراض شرايين القلب، خاصة أنه ثبت بالتحليل الدقيق احتواء كل من الثمرة وزيتها علي مركبات كيميائية تمنع تخثر الدم. وانطلاقا من ذلك يوصي الاطباء كل من أجريت لهم عمليات توسعة شرايين القلب بتناول 4-5 ملاعق من زيت الزيتون يوميا وبشكل روتيني كجزء من العلاج.

هذا، وقد جاء ذكر الزيتون وزيته في سبعة مواضع من القرآن الكريم، وأقسم به ربنا (تبارك وتعالى) - وهو الغني عن القسم - وأكد علي قيمة زيته وقيمه الغذائية مما أثبتته البحوث العلمية والطبية في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وتعتبر هذه الاشارات من المعجزات العلمية للقرآن الكريم الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة، ومن معجزات الرسول الخاتم الذي تلقاه والذي يروي عنه (صلي الله عليه وسلم) قوله: كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة (أخرجه الامام أحمد عن مالك بن ربيعة الساعدي مرفوعاً)، وقوله (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) في نفس المعنى: ائتموا بالزيت وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة (رواه عبد بن حميد في مسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما).

وهنا يتبادر الي الذهن سيل من الاسئلة منها: لماذا أنزل ربنا (تبارك وتعالى) هذه الآية المباركة فيما أنزل من قرآن علي خاتم أنبيائه ورسوله، وأنطقه بما نطق به عن شجرة الزيتون، وثمرها وزيتها؟ وللإجابة نقول: إن الله تعالى يعلم بعلمه المحيط أن الانسان سوف يصل في يوم من الايام الي اكتشاف قيمة الزيتون وزيته فتكون هذه الآية المباركة، كما تكون أقوال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، ويشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، فالحمد لله علي نعمة القرآن، والحمد لله علي نعمة الاسلام، والحمد لله علي بعثة خير الانام، خاتم الانبياء والمرسلين، وإمام الغر المحجلين والحمد لله في الاولي والاخرة، والحمد لله في كل وقت وفي كل حين، وصلي الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد النبي الامين، وعلي آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلي يوم الدين.